أقسام علم الآثار في الجامعات العراقية وسبل تطوير الدراسات الأكاديمية فيها

م. م. عمر جسام العزاوي (*)

ملخص:-

علم الآثار، كعلم أكاديمي، يُدّرس في الكثير من الجامعات العراقية تحت مسمى (كلية الآثار) أو قسم تابع لكليات الآداب. ولا يخفى على المختص بعلم الآثار من آثاريين أو أكاديميين في الجامعات العراقية وحتى المثقفون بشكل عام النظام التعليمي العام المتبع في دراسة وتدريس العلوم والتخصصات كافة، ومنها علم الآثار على وجه الخصوص، في الجامعات العراقية اليوم وما لهذا النظام وما عليه من نقاط إيجابية كانت أم سلبية تؤثر بشكل كبير على دراسة وتدريس العلوم ومدى استيعاب الطلبة لهذه العلوم بتلك الطرق التدريسية المتبعة؛ وفي هذا البحث استعراض لتاريخ بعض أقسام الآثار في الجامعات العراقية ونشاطاتها لتوضيح واستنباط الطرق الدراسية المتبعة في دراسة وتدريس علم الآثار في تلك الأقسام بشكل خاص وتبيان النقاط السلبية وتشخيصها محاولةً لتعديل وتصحيح ما يمكن أن يصحح لتطوير قابلية إستيعاب الطلبة للمناهج المتبعة إنتهاءً ببعض السبل أو الحلول التي يمكن أن تعمل على تطوير واقع الدراسة الأكاديمية الحالي في أقسام الآثار.

كلمات مفتاحية: علم الآثار، الآثار، الجامعات العراقية، العراق، قسم الآثار، طرائق التدريس.

Departments of Archeology at Iraqi universities and the ways to develop academic studies

Omar JASSAM (*)

Abstract:

Archaeology as an academic science taught in most of the Iraqi Universities under the title of (College of Archaeology) or one of the college of arts departments. It is obvious for the archaeology specialists like archaeologists, Iraqi universities academics and even intellectuals in general that the general teaching system of studying and teaching sciences and whole specializations, including archaeology in particular, in Iraqi universities today has a great effect whether it is negative or positive on the studying and the teaching of science in addition to students assimilation degree depending on these adopted methods. This research demonstrates the history of a number of archaeology departments of the Iraqi universities in addition to their activities, highlights the adopted methods in studying and teaching archaeology in these departments in particular, projects light on the negative points, diagnosis them as an attempt to modify and correct what can be corrected to develop the students assimilation capability of the adopted curricula figures out solutions that can enhance the developments of the current academic study of the archaeology departments.

Keywords: Archeology, Iraqi universities, Iraq, Department of Archaeology, Teaching Methods.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **الدراسة الأكاديمية لعلم الآثار في العراق:-**

إن لتطور علم الآثار في العراق في الجانب الفني (الميداني) عبر مديرية الآثار وتطور تشكيلاتها وكوادرها وعملها وخبراتها يرافقها الإسناد القانوني والتشريعي المنظم والضابط لهذا الجانب من علم الآثار خلال السنوات السابقة أدى إلى توافر الظروف الممهدة والحجة البالغة لتأسيس قسم علمي أكاديمي ينتمي لمؤسسة تعليمية يأخذ على عاتقه مهمة تكوين كوادر آثارية علمية تكتسب معرفتها الآثارية عبر الدراسة النظرية لأسس علم الآثار ومبادئه، في قسم أكاديمي مختص، لتكون الساعد الأيمن للكوادر الرديفة المرتبطة بمديرية الآثار في العمل الآثاري والدراسات الآثارية الأكاديمية للوصول إلى أفضل النتائج وأدقها التي تبرز دور حضارات العراق وآثاره الشاهدة على عمق تاريخه القديم .

لذا كان من أهم مراحل تطور علم الآثار في العراق هو تأسيس قسم الآثار في كلية الآداب / جامعة بغداد عام ١٩٥١م والذي أشرف عليه وأجتهد في تدريس طلبته النخبة الآثارية نفسها التي عملت وقادت باكورة النشاط الآثاري الميداني في مديرية الآثار آنذاك أيضاً، أبرزهم الأستاذان 'طه باقر' و'فؤاد سفر'، لتمتزج الخبرة العلمية الأكاديمية مع الخبرة الفنية(الميدانية) في هذا القسم العلمي الذي خرَّج نخبة مميزة من الكوادر الآثارية العراقية والتي بدورها أخذت على عاتقها مهمة المضي في مسيرة التطور النظري (الأكاديمي) والفني (الميداني) لعلم الآثار في العراق.

أ- أوائل علماء الآثار الأكاديميين العراقيين:

في عام ١٩٢٧م وضعت لجنة نيابية في مجلس النواب العراقي جملة توصيات حكومية للإهتمام بدائرة الآثار والمتحف العراقي والعمل على تطوير هذا الجانب من علم الآثار في العراق، وكانت إحدى أبرز النقاط الواردة في تقرير توصيات هذه اللجنة هو أن يُرسلَ طالبان لدراسة علم الآثار والخط المسماري في إحدى الجامعات والمعاهد العالمية[١].

وبعد أن تولى الأستاذ 'ساطع الحصري' منصب مدير الآثار في العراق سعى إلى إرسال البعثات العلمية إلى الخارج لإكمال دراستهم في إختصاص علم الآثار رغبةً منه في تكوين جيل وطني متخصص بهذا الحقل من المعرفة والذي كان حكراً للأجانب فقط حينها[٢].

في عام ١٩٣٢م كان هناك طالبان عراقيان هما 'طه باقر' و'فؤاد سفر' قد أكملوا دراستهم الثانوية بتفوق وتم ترشيحهم لبعثات علمية خارج العراق حيث سافرا إلى فلسطين وحصلا على شهادة علمية تسمى (ماتريكوليشن Matriculation) في كلية (صفد) هناك عام ١٩٣٣م، ثم انتقلوا إلى لبنان ودرسوا مادة التاريخ والآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت في مرحلة دراسية تحضيرية إصطُلح عليها مرحلة (السوفومور Sophomore) قبل أن يلتحقا بالمعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو الأمريكية للمدة بين ١٩٣٤م-١٩٣٨م ليحصلا على شهادة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البكالوريوس والماجستير في تخصص علم الآثار واللغات القديمة ثم عادا إلى العراق عام ١٩٣٨م ليتم تعينهما في مديرية الآثار العراقية[٣]. وبذلك حصل العراق على أبرز عالمين متخصصين في علم الآثار سواءً في الجانب الميداني (التنقيبات) أو في جانب الدراسات والبحوث الآثارية النظرية فضلاً عن تخصص الكتابات المسمارية . فقد كان لهما دورٌ كبيرٌ وبارزٌ في قيادة الهيئات الآثارية العراقية خصوصاً بعد أن تم تعينهما ضمن كوادر مديرية الآثار التي باتت تعتمد على الكفاءات الوطنية في نشاطاتها الآثارية المختلفة إذ أجروا تنقيبات آثارية في أكثر من موقع أثري داخل العراق كما عملا على نشر نتائج أعمالهما داخل العراق وخارجه فكان نشاطهما وجهدهما مميزاً في هذا المجال وبشكلٍ وضعا فيه الأسس العلمية الرصينة لما يمكن أن يطلق عليه اسم المدرسة العراقية للآثار.

من جانب آخر فقد سعى الأستاذان القديران وبذلا جهداً إستثنائياً بالتعاون مع زملائهما في حقل التعليم آنذاك لتأسيس أول قسم علمي أكاديمي لدراسة الآثار والحضارات القديمة في العراق عام ١٩٥١م وأصبح طلاب هذا القسم الذين تتلمذوا على أيديهما النواة التي إنطلقت منها تشكيلات الكوادر الآثارية العراقية سواءً في مديرية الآثار أو في الجامعات العلمية العراقية[٤]، خصوصاً منهم الذين أكملوا دراستهم العليا في الجامعات الأجنبية بعد تخرجهم من هذا القسم، يضاف لهم من درسوا تخصص التاريخ القديم في الأقسام العلمية الأخرى ضمن كليات التربية والآداب في الجامعات العراقية ولحقوا بزملائهم إلى الخارج ودرسوا علم الآثار واللغات القديمة وبالتحديد اللغات السومرية والأكدية بلهجتيها الآشورية والبابلية المدونة بالخط المسماري والذي كان عدد المختصين بها قليل لغاية سبعينات القرن الماضي .

بعدها نشطت الحركة العلمية الآثارية وتوالت البعثات العلمية وبهذا ظهرت كوادر فنية وعلمية وأسماء لعلماء آثار عراقيين كان لها الدور الكبير في مسيرة تطوير علم الآثار سواءً من خلال مديرية الآثار أو من خلال الجامعات والأقسام الأكاديمية ليتزايد أعداد المختصين بعلم الآثار والدراسات المسمارية بشكل كبير مع مرور السنين لغاية اليوم، وهم في تزايد مستمر مع تواصل عمل الأقسام المختصة بعلم الآثار بتخريج دفعات منهم سواءً بشهادات جامعية أولية أو عليا[٥]؛ فضلاً عن الأيدي الآثارية التي عملت في ميدان علم الآثار، بدون أن تدرس علم الآثار وتبرز اسماءها مقارنةً مع النخبة الأكاديمية، ونقصد هنا كل من عمل في مجال التنقيبات الآثارية واكتسب خبرة كبيرة وممارسة طويلة في هذا الجانب سواءً من خلال عملهم مع البعثات الأجنبية سابقاً أو الهيئات الوطنية الآثارية لاحقاً، وكانوا اليد اليمنى والاداة الأهم والأبرز في قيام أية تنقيبات في المواقع الأثرية العراقية، ومنهم على سبيل المثال النخبة الآثارية المعروفة باسم (الشرقاطيون) نسبةً إلى قضاء الشرقاط في محافظة صلاح الدين شمال العراق، إذ اكتسبوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مهارات كبيرة ورائعة من خلال عملهم الآثاري وخبرتهم المتواصلة، والتي تناقلوها، بدءً من عملهم مع البعثات الألمانية وصولاً الى أيامنا هذه، وتوارثوها جيل بعد جيل.

ولا ننسى الأساتذة الذين كان لهم دور كبير في قيادة السلطة الآثارية في العراق وأخذوا على عاتقهم مهمة تطوير علم الآثار ليس فقط في الجانب العلمي وحسب بل وفي الجانب الإداري تحديداً، أبرزهم (على سبيل المثال لا الحصر):

الأساتذة: 'ساطع الحصري' و'يوسف رزق الله غنيمة' و'ناجي الاصيل' و'فيصل جاسم الوائلي' و'عيسى سلمان حميد' و'مؤيد سعيد بسيم' و'فرج بصمه جي' ... وغيرهم من الأعلام والشخصيات اللامعة في سماء علم الآثار في العراق، والذين تنوعت وتباينت سياستهم وإداراتهم وآراءهم في قيادة السلطة الآثارية في العراق.

ب-أقسام الآثار الأكاديمية:

بالنظر لأهمية الدراسات الآثارية والتأريخية واهتمام المؤسسات والجامعات العالمية بهذه الدراسات فتحت معاهد علمية أكاديمية متخصصة بالدراسات الآثارية في الجامعات العالمية الكبرى في بريطانيا وأمريكا وفرنسا وإسبانيا وغيرها من الدول الأجنبية التي كانت معنية بالبحوث الآثارية والدراسات التاريخية واللغات القديمة ودراسة الحضارات القديمة ومنها الحضارات التي قامت على ارض العراق، ولكون هذا البلد هو مهد أولى الحضارات البشرية ومواقع آثار تلك الحضارات تعم مناطقه المختلفة فقد ظهرت فكرة جديدة لدى الآثاريين العراقيين في بداية خمسينات القرن الماضي وهي إنشاء معهد علمي في العراق، على غرار المعاهد العالمية، يختص بعلم الآثار والحضارات القديمة العراقية كونه أحرى بها من تلك الدول التي كانت تدرس حضارات العراق القديم وآثاره، لذا عرض الأستاذ 'ناجي الأصيل' مدير عام الآثار على وزير المعارف آنذاك فكرة إنشاء معهد خاص على غرار المعاهد الأجنبية يختص بدراسة الآثار والحضارة وبالفعل جرت مداولات استشارية مع بعض الآثاريين الأجانب والمحليين الموجودين العاملين في العراق وقتذاك، ومنهم البريطاني 'ماكس ملوان'(Max Mallowan) فضلاً عن الأستاذ 'عبد العزيز الدوري' عميد (كلية الآداب والعلوم) في جامعة بغداد حينها، حول هذا الموضوع وتم إستحصال موافقة وزير المعارف آنذاك بتصدير أوامر وتعليمات لإنشاء (معهد الآثار والحضارة) على أن تتعاون مديرية الآثار مع عمادة كلية الآداب والعلوم في تنفيذ هذا المشروع وعلى أن يكون المدير العام للآثار رئيساً لهذا المعهد الذي كان جل كادره من الآثاريين المنتمين لمديرية الآثار، فضلاً عن الاستعانة ببعض الآثاريين الأجانب أثناء تواجدهم في العراق. وشُرع في تأسيس المعهد عام ١٩٥١م لكن سرعان ما انتقل ليكون قسماً علمياً ضمن كلية الآداب والعلوم في جامعة بغداد وقُبِلَ في السنة الأولى ١٩٥١م عدد محدود من الطلبة إذ لم يكن هناك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقبال على الدراسة في هذا القسم الجديد والغريب على أذهان الطلبة وقتذاك، لكن على الرغم من ذلك تواصلت الدراسة في هذا القسم لسنوات لاحقة[٦].

وقد دأب قسم الآثار في جامعة بغداد على تدريس الموضوعات ذات العلاقة بالحضارات القديمة المتعلقة بحضارات الشرق القديم بشكل عام وحضارات العراق القديم بشكل خاص، فضلاً عن تدريس الحضارات العربية والإسلامية، كما أهتم القسم أيضاً بالتدريب العملي الميداني (التنقيبات الآثارية) لتدريب الطلبة على الطرائق العلمية للتنقيب ومعالجة الآثار وصيانتها وتسجيلها وحفظ بعضاً منها في متحف الآثار التابع لكلية الآداب، الذي أنشأه قسم الآثار ليكون بمثابة مختبر لطلبة القسم ومكان لتوفير مادة أصيلة لأساتذة القسم وطلبته لدراستها وتحليلها (إستقرائها)؛ كما تطورت الإمكانية العلمية فيه فتم فتح باب الدراسات العليا منذ عام ١٩٦٠م[٧]، فضلاً عن إيفاد عدد من خريجيه إلى الجامعات الأجنبية لإكمال دراستهم العليا هناك ليعودوا بعد ذلك للعراق ويتحملوا مسؤولية التدريس في الجامعات العراقية أو العمل في مديرية الآثار أو الجمع بين العملين[٨].

مع تزايد الإهتمام بدراسة الآثار والحضارة القديمة ومع مرور الوقت تم عام ١٩٧٠م إفتتاح قسم جديد للآثار في جامعة الموصل، تم فيه قبول دورة واحدة من الطلبة، ثم توقف القبول فيه بداعي عدم حاجة البلد لخريجي هذا القسم حينها!، مما دفع بقسم التاريخ في كلية الآداب/جامعة الموصل أن يولي إهتماماً خاصاً بالدراسات الآثارية بشكل عام واللغات القديمة وبالتحديد المدونة بالخط المسماري بشكل خاص[٩]. ولم يكتفِ هذا القسم بتخريج المختصين في هذا الجانب في الدراسات الأولية فقط بل شمل الدراسات العليا أيضاً، وأدى هذا الاهتمام إلى فتح مركزاً في جامعة الموصل للدراسات الآثارية واللغوية القديمة هو (مركز البحوث الآثارية والحضارية) ويؤسس أيضاً متحفاً خاصاً للآثار والتراث؛ وبعد قرابة ربع قرن من إغلاقه، أُفتتح قسم الآثار في كلية الآداب/جامعة الموصل ليستأنف قبول الطلبة مرة ثانية عام ١٩٩٤م[١٠]، وفي عام ١٩٩٨م تم افتتاح قسم جديد يختص بالدراسات المسمارية واللغات العراقية القديمة في كلية الآداب/جامعة الموصل تماشياً مع التطور الذي حصل في حقل الدراسات الآثارية بشكل عام والمسمارية بشكل خاص في العراق، وتم قبول عدد محدود من الطلبة في هذا القسم الذي تخرجت دفعته الأولى عام ٢٠٠٣م[١١].

كما فُتحت أقسام علمية أخرى لدراسة علم الآثار في عدد من الجامعات العراقية منها جامعات سامراء والبصرة والأنبار وبابل والقادسية وصلاح الدين(في اربيل) فضلاً عن قسم الآثار التابع لمركز دراسات الكوفة في جامعة الكوفة ... وغيرها، وقد أُغلق بعض هذه الأقسام وأستمر بعضها الآخر، فضلاً عن فتح مجال الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في الأقسام المذكورة أعلاه وتخريج عدد كبير من الطلبة بتخصصات آثارية ولغوية قديمة متعددة، في صورة توضح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مدى الإهتمام المتزايد بعلم الآثار وتصاعد خطه البياني الأكاديمي نحو التطور وتزايد عدد الآثاريين المختصين والدارسين في العراق[١٢]، في وقتٍ شهد بالمقابل إنحدار في الخط البياني للنشاط الآثاري الميداني (التنقيبات) خصوصاً في العقدين الأخيرين من الزمن .

إن هذا الإهتمام المتزايد بعلم الآثار والتوجه نحو تطوير هذا الإختصاص في بلد الحضارات العريقة والتزايد الإيجابي في عدد الطلبة الخريجين المختصين بعلم الآثار، ولاسيما طلبة الدراسات العليا منهم، أدى عام ٢٠٠٨م إلى استحداث كلية جديدة في جامعة الموصل تُعنى بعلم الآثار وهي (كلية الآثار) وهي أول كلية للآثار في العراق، وتم نقل كوادر قسمي (الآثار والدراسات المسمارية) من كلية الآداب إلى كلية الآثار التي لم تكتفِ بالقسمين العلميين فحسب بل إستحدثت قسماً ثالثاً هو (قسم حضارات الشرق الأدنى القديمة) لتكون هذه الأقسام الثلاثة نقطة إنطلاقة مسيرة كلية الآثار العلمية في طريق الدراسات والبحوث الآثارية والحضارية؛ تبعها في عام ٢٠١٠م إستحداث (كلية الآثار) في جامعة سامراء بأقسامها العلمية، أبرزها قسم الصيانة والترميم، فضلاً عن متحفاً حضارياً مُهّد للبدء في إستقبال وحفظ الآثار التي سوف تكتشف خلال التنقيبات الآثارية المؤمل أن تقوم بها الكلية، وحديثاً أيضاً إستحداث (كلية الآثار) في محافظة ذي قار–قضاء سوق الشيوخ إذ سيكون من المؤمل إستقبال أولى دفعات الطلبة فيها بالموسم الدراسي ٢٠١٥/٢٠١٦.

ج– أبرز النشاطات الآثارية لأقسام علم الآثار في الجامعات العراقية:

بعد أن أُستحدثت أقسام علم الآثار التابعة للجامعات العراقية لم تكتفِ تلك الاقسام الأكاديمية بتدريس علم الآثار بجميع تخصصاته نظرياً فقط بل كان لهذه الأقسام نشاطات آثارية (ميدانية) في العديد من المواقع الأثرية، وبالتحديد في مدة العقدين السابع والثامن من القرن العشرين التي شهدت تصاعداً في النشاطات الآثارية على مستوى كافة المواقع الأثرية في العراق، إذ أهتمت أغلب اقسام الآثار منذ تأسيسها بالمساهمة الفاعلة في النشاطات الآثارية الهادفة لاكتشاف الموروث الحضاري لبلاد الرافدين، وسعت هذه الاقسام عبر كوادرها من الأساتذة والباحثين والمختصين بعلم الآثار والكتابات القديمة فضلاً عن المختصين بدراسة الحضارات القديمة والتاريخ القديم، أن تساهم مع الهيئة العامة للآثار والتراث، بعد إستحصال موافقة الأخيرة، في الشروع بإقامة تنقيبات وعمليات صيانة آثارية في المواقع الأثرية والتراثية خصوصاً القريبة من مواقع الجامعات العراقية. وجاءت هذه النشاطات في ذاك الوقت لأسباب وأهداف محددة، يمكن تلمسها من خلال قراءة ما نشر عن هذه النشاطات. ومن أبرزها:

١. لتدريب طلاب الآثار، إذ يعد هذا الهدف العلمي أحد أهم أسباب القيام بالتنقيبات الآثارية بالنسبة للمؤسسات العلمية الأكاديمية كالجامعات، وذلك لأن علم الآثار كونه علماً تطبيقياً فنياً (ميدانياً) أكثر من كونه علماً نظرياً، يحبذ أن تكون الدراسة في هذا العلم معتمدةً على التطبيق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العملي والتدريب الميداني المباشر للطلبة فضلاً عن دراستهم النظريات والطرائق الأكاديمية المثلى نظرياً، لذلك سعت الأقسام العلمية الآثارية التابعة للجامعات العراقية بدعم من الأساتذة المسؤولين في الجامعات إلى أن يخصص لطلبتها موقعاً اثرياً خاصاً بالتدريب العملي قريباً من الجامعة لسهولة نقل الطلبة وكان هذا كله يتم تحت إشراف أساتذة القسم المختصين وأيضاً مشرفين فنيين من مديرية الآثار.

٢. إن من جملة ما تصبو إليه الأقسام العلمية للآثار في الجامعات العراقية من خلال تدريسها لعلم الآثار هو توفير مادة أصيلة للبحث العلمي سواءً للأساتذة أو الطلبة لدراستها واستقرائها ونشرها، إسهاماً في زيادة المعرفة في هذا المجال، لذلك كانت بعض الآثار المكتشفة من قبل الهيئات الآثارية التابعة لهذه الأقسام خلال نشاطاتها الميدانية تحفظ في متاحف أنشأتها الأقسام العلمية نفسها لتكون بمثابة مختبرات علمية لطلبتها، ومثال ذلك متحف الآثار في قسم الآثار التابع لكلية الآداب جامعة بغداد(١٣).

٣. أن اغلب الأساتذة المختصين بعلم الآثار هم في الأساس من خريجي قسم الآثار/جامعة بغداد، ومنهم من أكمل دراسته الأكاديمية في هذا التخصص في أرقى الجامعات العالمية فضلاً عن أنهم كانوا مرتبطين أيضاً بمديرية الآثار العراقية فكانوا قد جمعوا بين العملين في وقت كانت فيه حاجة لزيادة المختصين في هذا المجال لذا اتسمت أعمالهم ونشاطاتهم بالعلمية والأكاديمية.

٤. النشاطات الآثارية الكبرى التي قامت بها مديرية الآثار مثل مشاريع الإنقاذ الآثارية(١٤) ونداءاتها إلى كل الجامعات والمؤسسات العالمية للمشاركة في هذه المشاريع لسعة رقعة المواقع الأثرية وضيق الوقت، مما أدى هذا إلى فتح المجال إلى الهيئات العلمية التابعة للجامعات العراقية للمشاركة أيضاً في هذه المشاريع الآثارية .

٥. الإهتمام والدعم الذي توليه الهيئة العامة للآثار والتراث العراقية إلى الهيئات الآثارية التابعة للجامعات حيث كانت توفر لها الظروف المساعدة والإمكانيات المناسبة لمزاولة النشاط الآثاري في مجال التنقيب وحتى الصيانة الآثارية(١٥). إذ إنها أعدت خطة منذ عام ١٩٦٨م تستهدف التعاون مع المؤسسات العلمية في القطر ومنها الجامعات للمساهمة في كشف الموروث الحضاري للبلد(١٦).

مثل هذه الأهداف وغيرها أدت إلى أن يكون للجامعات العراقية في الماضي دورٌ مهم ونشاطٌ ميداني مميز في مجال التنقيب والصيانة الآثارية، والذي بدوره جاء بنتائج ممتازة في الكشف عن مواطن حضارة العراق وآثاره وصيانة أهم معالمه الأثرية والتراثية . لكن للأسف إنقطعت، بنسبة كبيرة، هكذا نشاطات في أيامنا هذه وبسبب الكثير من الظروف المتعلقة بظروف البلد وعلى كافة الأصعدة، على أمل أن ان يكون غداً أفضل .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا ما تناولنا، على سبيل المثال لا الحصر، النشاطات السابقة لبعض الجامعات العراقية في الجانب الآثاري، والكيفية التي كانت عليها طرائق التدريس في أقسام علم الآثار المدعومة بشكل كبير بالجانب العملي فسيكون بالإمكان إستنباط مقارنة سريعة وبسيطة عن واقع حال أقسام الآثار ونشاطاتها العلمية ما بين الأمس واليوم .

جامعة بغداد:

قسم علم الآثار التابع لكلية الآداب في جامعة بغداد كان له نشاطات آثارية متميزة في عدد محدد من المواقع الأثرية، فقد ساهم هذا القسم بأعمال التنقيب للكشف عن بقايا مدينة بغداد المدورة وشاركت الهيأة التابعة لهذا القسم العمل مع هيأة مديرية الآثار(١٧)؛ وفي عام ١٩٦٩م قامت الهيأة الآثارية التابعة لهذا القسم برئاسة الأستاذ الدكتور 'عبد العزيز حميد' بالتنقيب في منطقة تقرب مساحتها من ٨ كم في منطقة الكرخ في بغداد حوت على مواقع أثرية وتم الكشف عن العديد من القطع الأثرية المهمة(١٨)؛ وفي عام ١٩٧٠م بدأت هيأة تنقيب تابعة لنفس القسم أيضاً موسمها الأول في موقع (تل اسود)(١٩)، بعد موافقة مديرية الآثار العامة، وعلى الرغم من أن بداية العمل كانت متواضعةً سواءً من حيث عدد أعضاء الهيأة أو في عدتها المجهزة بها، إلا أن العمل تواصل لسبعة مواسم متتالية شهد كل موسم منها اكتساب خبرة جديدة وثقة متزايدة بالنفس لدى المشاركين بالعمل الآثاري باستخدام طرائق علمية حديثة في حينها(٢٠)، لتتوصل الهيأة إلى نتائج ممتازة أثناء عملها في هذا الموقع فكانت حصيلة المواسم السبعة على قدر كبير من الأهمية إذ تم الكشف عن مجموعة آثار مهمة تتمثل في الفخاريات والأدوات النحاسية والفضية والذهبية ومجموعة من المنحوتات المجسمة كالدمى والتماثيل عرضت في متحف الآثار في كلية الآداب التابع لقسم الآثار، فضلاً عن الفرصة الثمينة التي حظي بها طلبة القسم آنذاك من خلال التدريب العملي في هذا الموقع على طرائق التنقيب عن الآثار والأساليب العلمية المتبعة في ذلك الوقت(٢١).

كما كان لهذا القسم مشاركةً فاعلةً في مشاريع الإنقاذ الآثارية أيضاً، إذ شاركت عام ١٩٧٧م هيأة آثارية تابعة لقسم الآثار/جامعة بغداد بتنقيبات الإنقاذ في حوض سد حمرين برئاسة الأستاذ الدكتور 'وليد الجادر'، وقد اختارت الهيأة موقع (تل عياش) ضمن مواقع هذا المشروع للتنقيب فيه(٢٢).

وبموافقة المؤسسة العامة للآثار والتراث آنذاك شرعت هيأة آثارية تابعة للقسم ذاته بالتنقيب في موقع مدينة سبار (أبو حبة) الأثرية عام ١٩٧٨م وكانت الهيأة في موسمها الأول برئاسة الأستاذ الدكتور 'وليد الجادر' وعن مؤسسة الآثار السيد 'مأمون غانم حسن'. وانصب العمل في الموسم الأول على تحديد مرتفعات الموقع الأثري وعمل خارطة كنتورية له فضلاً عن تحديد الطرق الترابية والأبنية الموجودة داخل سور المدينة وأيضاً تحديد مسار الأنهار والجداول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحيطة بالسور[٢٣]، ليبدأ بعد ذلك توالي مواسم العمل في الموقع لغاية عام ٢٠٠٢م ليبلغ (٢٤) موسماً بشكل يمكن أن نعدها من أطول مواسم العمل الآثاري العلمي لموقع أثري في العراق يقابلها نتائج ممتازة لهذه التنقيبات العلمية، كانت أهمها اكتشاف مكتبة ضخمة حوت على مجموعة كبيرة من الرقم المسمارية دلت على أن الموقع كان مدينة علمية كبيرة .

جامعة الموصل:

يذكر أن جامعة الموصل أول جامعة في العراق كانت قد ساهمت مع مديرية الآثار في القيام بعمليات التنقيب والصيانة الآثارية حفاظاً على المواقع الأثرية والتراثية خصوصاً الواقعة في مدينة الموصل[٢٤]، مع العلم أن هذه الجامعة لم يكن فيها في بادئ الأمر قسم آثار ضمن أقسامها العلمية بل كان من ضمن منتسبيها أساتذة متخصصون في الآثار والتاريخ القديم وحتى اللغات القديمة ممن درسوا في الجامعات العالمية وحصلوا على شهادات عليا في هذا الجانب قبل أن يعودوا إلى العراق ويبدؤوا مسيرتهم العلمية فيه أبرزهم الأستاذ الدكتور 'عامر سليمان' والأستاذ الدكتور 'عادل نجم عبو'.

إذ كان من بين أهداف جامعة الموصل منذ تأسيسها المشاركة في إحياء التراث العراقي القديم والإسلامي لتظهر للعالم بعض ما توصلت إليه حضارة العراق الأصيلة في شتى المجالات العلمية والفنية أسوة بالجامعات العالمية لذا قامت الجامعة بدراسة مفصلة للمواقع الأثرية القريبة من مدينة الموصل قبل أن يقع اختيارها على موقع مدينة نينوى الأثرية بوصفه موقعاً قريباً من جامعة الموصل لبدء أولى تنقيباتها الآثارية العلمية لما للموقع من أهمية تاريخية كبيرة وشهرة عالمية واسعة، وعلى اثر ذلك قامت جامعة الموصل بمفاتحة وزارة الثقافة والإرشاد ومديرية الآثار العامة آنذاك مبينةً استعدادها للمشاركة في مجال التنقيب والصيانة الآثارية العلمية في مدينة نينوى حيث لاقى هذا الاستعداد قبولاً حسناً وتشجيعاً كبيراً في الأوساط العلمية كافة في العراق عندها منحت الجامعة ولأول مرة في العراق إجازة للتنقيب والصيانة الآثارية في موقع نينوى الأثري[٢٥].

بدأت جامعة الموصل أولى أعمالها الآثارية عام ١٩٦٨م[٢٦] إذ تشكلت هيأة آثارية برئاسة الدكتور 'عامر سليمان' ومعه ممثلاً عن مديرية الآثار/ مفتشية آثار الموصل السيد 'عبدالله امين آغا'، وأجرت الهيأة تنقيباتها في (بوابة أدد) إحدى بوابات سور مدينة نينوى الأثرية وتمكنت من استظهار المرافق البنائية في هذه البوابة كما كشفت عن أجزاء من سور المدينة وقامت بصيانته[٢٧]. وشجع النجاح الذي حققته أعمال الهيأة الآثارية التابعة لجامعة الموصل في هذا الموقع، وتواصلاً لتحقيق أهداف الجامعة في المساهمة الفعالة في حقل التنقيبات الآثارية، على إجراء المزيد من التنقيبات لتوسع بذلك الجامعة أعمالها الآثارية واختارت موقعاً اثرياً آخر للتنقيب وهو موقع مدينة آشورية مهمة تدعى تربيصُ (شريخان)[٢٨]، وانتقلت هيأة التنقيب برئاسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدكتور 'عامر سليمان' إلى هذا الموقع واستمر العمل فيه لثلاثة مواسم تمكنت فيه الهيأة من إكتشاف أهم الأبنية العمارية في هذا الموقع مثل معبد نركال وقصر ولاية العهد (بيت ريدوتي) فضلاً عن نصوص لكتابات مسمارية مهمة وقيمة جداً[٢٩].

كذلك قامت الجامعة باختيار موقع قلعة باشطابيا[٣٠]، والتي تعّد من أبرز المواقع الأثرية في مدينة الموصل، من بين المواقع الأثرية الأخرى وأجرت فيها تنقيبات منتظمة كما قامت بعمليات صيانة آثارية للجدران المكتشفة فيها[٣١].

أما أهم الأعمال الآثارية التي قامت بها الهيئات الآثارية التابعة لجامعة الموصل هي المشاركة في مشاريع الإنقاذ الآثارية التي تبنتها مديرية الآثار العراقية وبالتحديد في مشروع إنقاذ حوض سد الموصل إذ كانت جامعة الموصل أول مؤسسة علمية لبت الدعوة التي أطلقتها مديرية الآثار لجميع المؤسسات والجامعات العالمية المختصة للمشاركة في هذا المشروع، وقد اختارت الهيأة التابعة لجامعة الموصل أربعة تلول أثرية[٣٢] وهي (تل ابو ظاهر، مصيفنة، تل سلال، تل ضويج) ضمن الرقعة المخصصة لمشروع الإنقاذ وبدأت أولى أعمالها في عام ١٩٧٧م[٣٣]. كما شاركت هيأة آثارية تابعة للجامعة نفسها في مشروع إنقاذ حوض سد حمرين أيضاً، إذ عملت الهيأة في موقع (تل حلاوة) واستمر العمل فيه لمدة موسمين[٣٤].

ويذكر في هذا الصدد أنه لاحقاً كان قد شرعت كلية الآثار/ جامعة الموصل في عام ٢٠١١ بتنقيبات آثارية في موقع مدينة نينوى الأثرية القريب من جامعة الموصل بعد استحصال الموافقات وتهيئة الوسائل والتجهيزات اللازمة، وتم العمل هناك لمدة ثلاث مواسم قبل أن تتوقف بسبب الاحداث الأمنية التي حدث لمدينة الموصل في حزيران ٢٠١٤م، وبقيت نتائج التنقيبات لهذه المواسم الثلاثة غير معروفة أو منشورة لحد اليوم .

جامعة البصرة:

أما جامعة البصرة فشاركت من خلال هيئات آثارية تابعة لها في بعض التنقيبات التي أشرفت عليها مديرية الآثار أيضاً إذ كان للجامعة نشاطٌ آثاريٌ في موقع (تلول الشعيبة)[٣٥] حيث أجرت هيأة آثارية تابعة للجامعة المذكورة، برئاسة الأستاذ 'منذر البكر' وعن مديرية الآثار السيد 'عواد الكسار' ممثلاً عنها، أعمال تحريات وتنقيبات آثارية في هذه التلول أثناء الأعوام ١٩٧٠-١٩٧٢ وتم الكشف عن طبقات أثرية مهمة تعود للحقب الإسلامية[٣٦].

جامعة القادسية:

وفي عام ١٩٨٩م شكلت هيأة الدراسات والتنقيبات الآثارية في جامعة القادسية، وشرعت هذه الهيأة برئاسة الأستاذ الدكتور 'نائل حنون' بالمشاركة في النشاطات الآثارية الميدانية حالها في ذلك حال من سبقها من الجامعات العراقية في هذا المجال، وتم اختيار موقع اثري يبعد عن بناية جامعة القادسية بما يقارب من ١٥كم وهو موقع مدينة مَرَّد القديمة (ونه والصدوم)[٣٧] ليكون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أول موقع اثري ينقب من قبل جامعة القادسية؛ وبدأ أول موسم تنقيبي للهيئة الآثارية التابعة لجامعة القادسية عام ١٩٩٠م في موقع مدينة مَرَّد، وكانت هذه التنقيبات هي أولى التنقيبات العلمية النظامية التي يشهدها أديم الموقع بعد أن عانى كثيراً من عمليات النبش والسرقة والتخريب وبالتحديد في مدة النصف الأول من القرن العشرين الميلادي على أيدي تجار الآثار الذين سرقوا من الموقع مجموعات قيمة من الآثار أبرزها نصوص ملكية مسمارية مهمة جداً حصلت عليها بعد ذلك جامعات عالمية مهتمة بطرق غير مشروعة. وعلى الرغم من أن نتائج الموسم الأول في الموقع اقتصرت على الكشف عن أجزاء من بناية المعبد الرئيس للمدينة والعثور على مجموعة قطع أثرية لا يتجاوز عددها (١٦) قطعة يعود تاريخها إلى الألف الأول قبل الميلاد[٣٨]، إلا أن التنقيبات العلمية بأشراف جامعة القادسية بقت في الموقع حتى بعد أن استحدث قسم الآثار في كلية الآداب/ جامعة القادسية عام ٢٠٠٢م.

بين الأمس واليوم:

إن ما ورد أعلاه من أمثلة لنشاطات سابقة لبعض الجامعات العراقية التي كان لها دور في النشاطات الآثارية في العراق يعبر عن مقدار الإهتمام العلمي والأكاديمي التي كانت توليه أقسام الآثار الأكاديمية والجامعات العراقية آنذاك وتعكس لنا بصورة واضحة ما كان عليه حال الدراسة الأكاديمية لقسم الآثار، وكيف كان لتلك النشاطات مردودات إيجابية من الناحية العلمية والأكاديمية تمثلت باكتشاف الكثير من الآثار وتوضيح معلومات تاريخية حضارية مهمة أستندت عليها الدراسات الآثارية والحضارية لحد يومنا هذا فضلاً عن مقدار الخبرة التي أكتُسبت من قبل الآثاريين العراقيين الذين عملوا في المواقع الآثرية حينها؛ أما اليوم وبسبب الظروف الراهنة التي تلت عام ٢٠٠٣م تعاني أقسام الآثار في الجامعات العراقية، حالها في ذلك حال الهيأة العامة للآثار حالياً، صعوبة في القيام بتنقيبات آثارية في مواقع أثرية مختارة تكون حقلاً للتدريب العملي، لطلبة الآثار في الجامعات العراقية، والذي يعد أحد ابرز وأهم الوسائل والطرائق التعليمية لطلبة علم الآثار، على أمل أن تتاح مستقبلاً هذه الفرصة لطلبة علم الآثار .

إن أعمال ونشاطات الأقسام العلمية والهيئات الآثارية التابعة للجامعات العراقية قد أسبغ على العمل الآثاري نوعاً من أنواع الأكاديمية العلمية التي أكملت وأغنت مسيرة العمل الآثاري الذي تقوم به مديرية الآثار العراقية وامتزج بذلك على أرض المواقع الأثرية من خلال الهيئات الآثارية المشتركة، والتي نفتقدها اليوم، ذات الخبرة الميدانية والعلمية الأكاديمية التي انصهرت في بودقة تطور علم الآثار في العراق. هذا التطور الذي وأن توقف عملياً (ميدانياً) بسبب الظروف الراهنة حالياً، إلا أن الجانب النظري لعلم الآثار من خلال الدراسات والبحوث الآثارية خصوصاً منها الداعية إلى إعادة النظر بكل ما كتبه الأجانب عن العراق وتاريخه القديم وما ترجموه عن كتاباته المسمارية ومحاولةً الخروج من الثوب الغربي الأجنبي للدراسات الآثارية والحضارية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاصة بالعراق باتت، وعبر الدراسات العراقية الحديثة في هذا الجانب وبالتحديد من خلال رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه لطلبة الدراسات العليا في أقسام وكليات علم الآثار، تشق اليوم مسيرتها التطويرية الهادفة .

- **سبل تطوير الدراسات الأكاديمية في أقسام علم الآثار:-**

لما كانت معظم الكوادر الآثارية العاملة في الجانب الآثاري في العراق اليوم هي من مخرجات أقسام الآثار الأكاديمية التابعة للجامعات العراقية منذ تخرج أول دفعة من قسم الآثار- جامعة بغداد بعد اربع سنوات من تأسيسه والى يومنا هذا، فإن أمر الاهتمام الجدي بهذه الأقسام الأكاديمية يعد الخطوة الأولى لإيجاد كوادر علمية متميزة تأخذ على عاتقها مهمة النهوض والمضي بعلم الآثار في هذا البلد. وفي خضم قلة الثقافة الآثارية التي يعاني منها مجتمعنا اليوم وعزوف الشارع المثقف قبل غيرهم عن الإهتمام بالآثار ومعرفة أهمية دراستها الأكاديمية من جانب، وقلة الدافع والباعث لدى طلبة المرحلة الاعدادية للتقديم إلى كليات الآثار وقسم علم الآثار في الجامعات العراقية لدراسة هذا العلم مجهول المستقبل والاكاديمية بنظرهم من جانب آخر، لهذا اردنا من خلال كتابة ورقات هذا البحث التي تحمل في طياتها بعض الآراء التي يُظن أن العمل بها من شأنه أن يُنهض بنسبةٍ معينةٍ الدراسة الأكاديمية في قسم الآثار؛ ومع أن هذه الآراء لم تتأتى من خبرة أكاديمية طويلةً سواءً في التدريس أو العمل الميداني (التنقيب) إلا أنها نتيجة لأبحاث وقراءات كثيرة استعرضنا بعضها في أعلاه؛ وإذ توضحت لنا، بعد تشخيصها حين الدراسة، بعض السلبيات والعراقيل التي عثرت مسيرة علم الآثار في العراق على مدى السنوات الماضية التي نشأ خلالها هذا العلم، فقد توضحت أيضاً بالمقابل الكيفية التي تذهب بمسيرة هذا العلم إلى التطور الحديث الذي تشهده اليوم العلوم كافة .

لقد بات علم الآثار واحداً من أبرز العلوم والدراسات العلمية التطبيقية الإنسانية المهمة، وتتأتى أهميته من خلال ما يكتشفه مختصوه من آثار لتراث ثقافي وفكري يربط الإنسان بماضيه وأرضه وأصوله الأولى، محاولاً فهم ذاك الماضي مروراً بالحاضر والتطلع نحو المستقبل على أساسه.

علم الآثار كعلم أكاديمي يُدّرس في الكثير من الجامعات العراقية تحت مسمى (كلية الآثار) أو قسم علمي تابع لكليات الآداب. ولا يخفى على المختص بعلم الآثار من آثاريين أو أكاديميين في الجامعات العراقية وحتى المثقفون بشكل عام النظام التعليمي الخاص المتبع في دراسة وتدريس العلوم والتخصصات كافة ومنها علم الآثار في الجامعات العراقية اليوم، وما لهذا النظام وما عليه من نقاط إيجابية كانت أم سلبية، تؤثر بشكل كبير على دراسة وتدريس العلوم ومدى إستيعاب الطلبة لهذه العلوم بتلك الطرق التدريسية المتبعة. لذا نبحث هنا في طرق الدراسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتبعة في دراسة وتدريس علم الآثار ضمن الجامعات العراقية بشكل خاص وتبيان النقاط السلبية وتشخيصها محاولةً لتعديل وتصحيح ما يمكن أن يصحح لتطوير قابلية إستيعاب الطلبة للمناهج المتبعة وبالتالي تخريج دفعة من الآثاريين المختصين بعلم الآثار وليس علم تاريخ الآثار أو الحضارة فقط!.

فلنكن صريحين ونعترف، كمختصين، بأن دراسة وتدريس علم الآثار اليوم في العراق والطرائق التدريسية المتبعة في ذلك فضلاً عن بعض المناهج المستخدمة من كتب ومصادر –إذا ما جاز لنا إستخدام نوعاً من المجاز الساخر للتعبير– هي أقدم من الآثار المدروسة نفسها! (مع جلّ الاحترام والتقدير لكل الأساتذة في أقسام الآثار على مختلف شهاداتهم ودرجاتهم العلمية) وهذا ما شكَّل مشكلةً كبيرةً في إحداث فجوة كبيرة في تلقي تطبيقات العلم بسرعة إلى الطلبة وأيضا في شعور الطلبة بعدم علمية وأهمية وجدوى دراسة هذا التخصص مما أدى إلى العزوف عن دراسة علم الآثار وبالتالي عدم نشر الثقافة الآثارية في المجتمع من خلال هؤلاء الطلبة الذين باتت دراستهم وجل همهم هو كيفية اجتياز إمتحانات (الحفظ والسرد) .

في أدناه عرض للآراء المقترحة كسبل لتطوير دراسة وتدريس علم الاثار على شكل نقاط تختص كل نقطة بجانب معين لتشكل تلك النقاط مجتمعةً (بغض النظر عن تسلسلها) في النهاية ما نظنه حلول أو سبل يمكن أن تخطو بأقسام الاثار في الجامعات العراقية خطوة نحو التقدم:

١. (علم الآثار هو علم الآثار!) عبارة أوردها الآثاري ديفيد كلارك David L.Clarke في كتابه الموسوم بـ (علم الآثار التحليلي) قاصداً بأن علم الآثار هو علم مستقل بحد ذاته إنتهل من العلوم الأخرى التطبيقية وشكَّل له علماً ذات نظريات وأفكار وقواعد خاصة به، هذه الفكرة التي توصل لها وذكرها في كتابه المذكور أعلاه والصادر سنة ١٩٦٨م، لا يمكننا أن نأتي اليوم، وفي ضل التطور العلمي والأكاديمي الحاصل، ونحصر علم الآثار بخانة العلوم أو الدراسات الإنسانية فقط، ليس تأييداً لكلارك وإنما تأييداً لفكرته وحقيقة ما توصل إليه، فنحن بذلك نغير من فحوى علم الآثار وأهدافه. نعم علم الآثار هو علم أحد أهدافه هي دراسة حياة وطبيعة الإنسان وماضيه عبر ما تركته يداه من آثار مادية كانت أم فكرية ولكن ليست هذه كل غايات أو أهداف علم الآثار وإلا ما تُرك لمختصي الانثروبولوجيا والتاريخ شيئاً للدراسة!، بل بالعكس هو علم يقدم المعطيات (وهي الآثار المادية الملموسة والفكرية المكتوبة) لمختصي الانثروبولوجيا والتاريخ بشكل خاص وبقية العلوم بشكلٍ عام، من خلال قواعده وتطبيقاته ونظرياته المستخدمة في الجانب العملي (التنقيبات) لتكون المادة الخام التي ينطلق منها دارسي تلك العلوم والتخصصات ومختصوها.

وإستناداً لهذا وجب ضرورة تحويل قسم الآثار من خانة الأقسام الأكاديمية ذات الدراسة الإنسانية إلى خانة الاقسام العلمية التطبيقية وفقاً لهيكلية ومخطط الجامعات العراقية وما هو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معروف، لكون علم الآثار علم تطبيقي علمي يعتمد دارسوه بنسبة تفوق الـ ٩٠٪ على التنقيبات العملية والتطبيقية للحصول على المعلومات والمعطيات المراد دراستها والتفصيل بها، فضلاً عن أن هذا العلم يجمع في جانبه التطبيقي العملي (التنقيبات) العديد من التخصصات العلمية والتطبيقية مثل الهندسة وعلم المساحة والجيولوجيا بتخصصاتها المختلفة والعلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء (الجيوفيزياء) والأحياء والزراعة وحتى أجهزة التكنولوجيا الحديثة كالكومبيوتر وتقنيات التحسس النائي أو ما يسمى بالاستشعار عن بعد وتقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS) والكثير من التخصصات العلمية والتطبيقية الأخرى، التي يجب على كل من يدرس علم الآثار ويعمل ميدانياً في التنقيبات الآثارية أن يلم بها، ولو بنسبة بسيطة، تخصصاً وثقافة ليكون مؤهل كمختص بعلم الآثار لتطبيق طرق التنقيبات العلمية وعمليات الصيانة والترميم بشكلٍ صحيح ودقيق للحصول على الآثار التي يبدأ بعد اكتشافها الجانب الثاني المكمل لعلم الآثار وهو الجانب الاكاديمي التحليلي لتوضيح صورة الحياة القديمة للإنسان .

٢. لكون أن علم الاثار علم متجدد ومستحدث المعطيات والمعلومات والتفاصيل ولأن إكتشافات اليوم الآثارية قد تلغي أو تغير أو تدعم مكتشفات الأمس، وجب ضرورة تحديث المناهج العلمية المعتمدة في أقسام الآثار الأكاديمية بشكل يوازن بين الجانب النظري والعملي التطبيقي وفق أحدث المناهج والمعلومات الآثارية التي توصلت لها الدراسات والأبحاث المختصة سواءً المحلية منها أو العالمية، لمواكبة التطور العالمي العلمي الذي تحقق في هذا المجال؛ فليس من المعقول الإعتماد على (بعض) المناهج التي مر عليها الزمن وأصبحت هي الأخرى من التراث!؛ وهناك الكثير من الكتب المنهجية المتبعة التي يمكن أن تُضرب كمثال حول هذا الموضوع، نتجنب ذكرها إحتراماً لأساتذتنا الذين ألفوها، لكن بنفس الوقت يمكن للكثير من المختصين والطلبة إلقاء نظرة سريعة لتاريخ صدور الكتب المنهجية المعتمدة في الدراسة لمعرفة القصد. لذا نرى بعض الأساتذة الذين يجتهدون في إستبدال تلك الكتب باوراق (ملزمة) أو محاضرات حديثة المعلومات لكن وفق منهاج ومفردات ثابتة لا تتغير. ومع ذلك يبقى هذا الحل الإجتهادي من قبل الأساتذة غير كافي إذ يجب أن تتحول تلك الأوراق أو المحاضرات الشفهية المحدثة إلى كتب علمية موثقة المصدر لتكتسب صبغة أكاديمية وعلمية، ويمكن ذلك من خلال دعم الجامعات لهؤلاء الأساتذة المجتهدين.

٣. إذا ما اتفقنا على أن علم الآثار هو علم تطبيقي، فإن ضرورة أن يكون هناك موقع أثري مخصص لكل قسم من أقسام الآثار في الجامعات العراقية، مختاراً بطريقة علمية أكاديمية وفق شروط خاصة، يكون بمثابة مختبر حقلي عملي للطلبة والأساتذة يتم فيه إعطاء الدروس التطبيقية مباشرة وكذلك أكتساب الخبرة الميدانية. ولكم أن تقيسوا مدى الإستفادة التي يمكن أن يكتسبها الطالب من العمل التطبيقي مقارنةً بالجلوس والإستماع للشرح فقط

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

داخل القاعات الدراسية، وكذا الامر بالنسبة للأساتذة الذين يفضلوا دمج عملهم الأكاديمي بالعمل الميداني لكسب الخبرة والتواصل المباشر مع معطيات بحوثهم ومحاضراتهم الملقاة على الطلبة، فضلاً عن أنه سيكون عمل يحسب للقسم وتنقيب علمي أكاديمي متأني للموقع الأثري وقليل التكلفة، أما بالنسبة للوقت المناسب فيمكن أن يكون خلال فصل الربيع (المناسب للتنقيب في العراق) أي قبل نهاية العام الدراسي وفيه يكون قد أكمل الطلبة نظرياً كل ما يحتاجونه من معلومات أو معرفة لطرق التنقيب والتعامل مع الآثار المكتشفة، فيكون الموقع الأثري هو مكان التطبيق العملي الأمثل لما تعلموه بشكلٍ نظري. وكمثال على ذلك نورد عمل قسم الآثار–جامعة بغداد في موقع مدينة سبار (أبو حبة) الذي تواصل لمدة ٢٤ موسم تنقيبي تقريباً .

٤. الإهتمام الجدي والفاعل بطلبة قسم الآثار بشكلٍ عام وطلبة المرحلة الأولى بشكلٍ خاص إذ يُعدون النواة والأساس لمسيرة القسم العلمية الأكاديمية ثم مخرجاته ونتاجه الأكاديمي بعد أربع سنوات يبذل بها الطلبة أنفسهم ومنتسبي القسم من تدريسيين وموظفين الجهد الجهيد لتخرجهم، وذلك من خلال توضيح أهمية وقيمة ما يدرسوه في هذا القسم بأسلوب ترغيبي يحثهم على حب الإختصاص ومواصلة الدراسة فيه بجد وعن قناعة، كذلك إعطاءهم الأولوية في زيارة المواقع الأثرية والمشاركة التعليمية في أعمال التنقيبات والمتاحف بشكلٍ دوري.

٥. لما كان علم الآثار يعتمد على الجانب العملي في دراساته ومصادرها، لزم تأمين جميع المستلزمات والوسائل التعليمية اللازمة لإيصال هذا العلم التطبيقي بشكل نظري للطلبة داخل القاعات الدراسية في الجامعات؛ خصوصاً عندما يصعب توفير الجانب العملي أو الزيارات الميدانية للمواقع الأثرية .

٦. أهمية وضرورة أن يكون الكادر التدريسي في قسم الآثار من حملة شهادة وتخصص علم الآثار وليس تخصص التاريخ؛ نعم نحتاج الى مختصين في التاريخ القديم بشكل خاص لتدريس المناهج التاريخية والحضارية التي تدعم دراسة علم الاثار وتزودها بمعلومات عن تاريخ وحضارات العالم القديم، وأيضا مختصين من مجالات علمية أخرى، تفيد الطالب مستقبلاً حين التنقيب في موقع أثري معين تابع لإحدى تلك الحضارات، لكن دراسة علم الاثار تختلف تماماً عن دراسة التاريخ وذات منهجية وطرائق تدريس يجب أن تكون مختلفة، وجّل المختصين والأساتذة في اقسام الاثار الاكاديمية يعلمون هذه الحقيقة حتى أن منهم لا يزال يعاني من تبعات تطبيق طرائق تدريس التاريخ في أقسام علم الآثار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. إعداد المختبرات الخاصة بالصيانة والترميم وإنشاء بعض القاعات التي يمكن عدها متاحف خاصة بالأقسام وعرض نماذج جبسية من الآثار بأنواعها كافة، لتأمين قاعات يمكن أن يدرس فيها التعامل مع الآثار وتحليلها وطرق المحافظة عليها بصورة مباشرة.

٨. الاهتمام بالدراسات العليا ومستويات طلبتها ومواضيع دراساتهم لضمان تأمين أساتذة أكفاء وبالتالي ضمان مخرجات ممتازة من الكوادر الآثارية .

٩. أهمية متابعة الدراسات والبحوث الخاصة بعلم الآثار ودعمها والتشجيع على النشر العلمي لها ومشاركات الطلبة ومنشوراتهم لنشر الثقافة الآثارية.

١٠. الإهتمام الجدي ببحوث التخرج المنجزة من قبل طلبة المرحلة الرابعة وجعل مناقشة البحوث علنية وبحضور اساتذة وطلاب القسم ورصد جوائز للبحوث المتميزة ليكون هذا الإجراء بمثابة تنافس علمي بين الطلبة وبالتالي ضمان الجدية العلمية بالبحوث المنجزة.

١١. الانفتاح على بقية الأقسام العلمية التي تختص بالعلوم الأخرى، ولاسيما تلك العلوم التي هي على علاقة كبيرة بعلم الآثار مثل اقسام الهندسة والفيزياء والأحياء والجيولوجيا والانثروبولوجيا والجغرافية...الخ، وتهيئة محاضرات متبادلة على طلبة تلك الاقسام العلمية لزيادة الثقافة لدى الطلبة .

١٢. إعادة التواصل والشراكة بين أقسام الآثار الأكاديمية في الجامعات مع هيأة الاثار والتراث في وزارة السياحة والآثار عبر مديرياتها ومفتشياتها في عموم العراق، وتفعيل الدور المشترك بينهما والذي غاب في الآونة الآخيرة، للأسف، وأصبح لكل منهما ممشى لا بالطريق الموحد والذي من المفترض أن يكون عليه بينهما؛ لما لهذه الشراكة والترابط من نتائج علمية كبيرة تصب في مصلحة علم الآثار في العراق. فلما لا يكون للآثاريين العاملين في مديريات أو مفتشيات الآثار دور في الجامعات العراقية؟ والعكس صحيح، وخير مثال على ذلك التجربة الأولى المشتركة بين الطرفين والتي استعرضناها في أعلاه.

وفي الختام نتمنى أن يكون ما أستعرضناه في أعلاه مفيداً علمياً وعملياً ويخطي بعلم الآثار وقسم الآثار ولو بخطوة واحدة إلى الأمام في مسيرة التطور الأكاديمية؛ منوهين على أنه يمكن لبعض السبل المطروحة أعلاه قد تكون موجودة ومطبقة في بعض أقسام الآثار وهذا ما سيكون بمثابة مثال حي لما ورد في هذا البحث .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش والمصادر:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

• ماجستير في علم الاثار، مدرس مساعد في كلية الآثار/جامعة الموصل، طالب دكتوراه /علم الاثار في جامعة Dokuz Eylül / تركيا (omar_azawy2000@yahoo.com).

١- أبو خلدون ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، الجزء الثاني، بيروت، ١٩٦٨، ص٣٩٨.

٢- بهنام أبو الصوف، التاريخ من باطن الأرض آثار وحضارات وأعمال ميدانية، عمان، ٢٠٠٩، ص٧٦.

٣- فوزي رشيد، طه باقر حياته وآثاره، بغداد، ١٩٨٧، ص١٨.

٤- بهنام أبو الصوف، التاريخ من باطن الأرض، المصدر السابق، ص٧٦.

٥- للمزيد ينظر: - عامر سليمان، اللغة الاكدية، موصل، ٢٠٠٥، ص٢١-٢٣.

٦- صادق الحسني، "معهد الآثار والحضارة"، سومر، المجلد ٧، الجزء ٢، ١٩٥١، ص٣٠٩-٣١٠.

٧- زهير رجب محمد، "تنقيبات قسم الآثار(كلية الآداب-جامعة بغداد) في تل أسود"، المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية، القاهرة، ١٩٧٣، ص٤٢٥.

٨- عامر سليمان، المدرسة العراقية في دراسة تاريخنا القديم، موصل، ٢٠٠٩، ص٤٩.

٩- المصدر نفسه .

١٠- تولى رئاسة القسم حينها الأستاذ الدكتور 'عامر سليمان'.

١١- عامر سليمان، اللغة الاكدية، المصدر السابق، ص٢١-٢٣.

١٢- عامر سليمان، المدرسة العراقية في دراسة تاريخنا القديم، المصدر السابق، ص٤٩.

١٣- احمد مالك الفتيان و زهير رجب عبد الله، ٧ سنوات في تل اسود، بغداد، ١٩٧٩، ص٣.

١٤- إن مشاريع الأعمار الكبيرة بشكل عام ومشاريع الري الكبرى بشكل خاص، في مدة ستينيات وسبعينيات القرن العشرين في العراق، دفعت بمديرية الآثار العراقية إلى أن تكون في سباق مع الوقت لأجل تنقيب واستكشاف كل المواقع الأثرية التي تقع ضمن خارطة مساحة تنفيذ مشاريع الري الكبرى والتي ستغمر بالمياه مستقبلاً، لذا وضعت المديرية خططاً فنية تشمل نشاطات كبيرة وصعبة شملت جلّ المواقع الأثرية التي ستتأثر وتندثر بفعل تلك المشاريع الكبرى وهي القيام بحملات تنقيب سميت بـ (الإنقاذية)، لأنها ستنقذ ما يمكن إنقاذه من آثار مطمورة في تلك المواقع فضلاً عن الإفادة من المعلومات الحضارية التي يمكن أن يحصل عليها عن طريق تلك التنقيبات والتي ستوضح الكثير من الحقائق الآثارية المهمة قبل أن يغمرها الماء وتفقد للأبد . ينظر:- عمر جسام العزاوي، علم الاثار في العراق نشأته وتطوره، بيروت، ٢٠١٣، ص٩٨.

١٥- قحطان رشيد صالح، الكشاف االاثري في العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص١٦٠.

١٦- جابر خليل إبراهيم، "النشاط الآثاري في العراق ١٩٦٨-١٩٨٥العمل الحقلي"، مجلة التربية والعلم، العدد ٥، بغداد، ١٩٨٧، ص٨١.

١٧- المصدر نفسه، ص٨٢.

١٨- قحطان رشيد صالح، المصدر السابق، ص١٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٩- تل اسود: يقع هذا التل على بعد نحو ١٥ كم تقريباً إلى الجنوب الغربي من بغداد .

٢٠- تقي الدباغ، وآخرون، طرق التنقيبات الأثرية، بغداد، ١٩٨٣، ص٣٣٠.

٢١- احمد مالك الفتيان، المصدر السابق، ص٣.

٢٢- للمزيد ينظر:- وليد الجادر، "تل عياش-تقرير أولي عن حفريات جامعة بغداد كلية الآداب قسم الآثار في موقع تل عياش الواقع في حوض حمرين"، سومر، المجلد ٣٥، الجزء ١+٢، بغداد، ١٩٧٩، ص٥٥٦-٥٦٠.

٢٣- قحطان رشيد صالح، المصدر السابق، ص١٥٣.

٢٤- جابر خليل إبراهيم، "الأنشطة الآثارية - التنقيب عن الآثار"، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الأول، موصل، ١٩٩١، ص٥٠٩.

٢٥- عامر سليمان، ض"نتائج تنقيبات جامعة الموصل في أسوار نينوى"، آداب الرافدين، العدد ١، ١٩٧١، ص٤٥.

٢٦- يذكر أن جامعة الموصل تأسست عام ١٩٦٧م، أي أن نشاطها الآثاري جاء بعد سنة واحدة من تأسيسها مما يدل على الاهتمام العلمي والأكاديمي بعلم الآثار لهذه الجامعة والقائمين عليها حين تأسيسها.

٢٧- للمزيد ينظر:- عامر سليمان، "نتائج تنقيبات جامعة الموصل في أسوار نينوى"، المصدر السابق، ص٤٥-٩٨.

٢٨- تربيصُ: من المدن الآشورية المهمة تقع أطلالها على بعد نحو ٨ كم شمال غرب مدينة نينوى، يعرف موقعها بالاسم المحلي (شريخان) .

٢٩- عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢، ص٢٦. كذلك :- عامر سليمان، "اكتشاف مدينة تربيصو الاشورية"، آداب الرافدين، العدد ٢، ١٩٧١، ص١٥-٤٩.

٣٠- باشطابيا : قلعة تطل على نهر دجلة في الجهة المقابلة لمدينة نينوى الأثرية، تعود بتاريخها إلى عهد 'عماد الدين زنكي' في القرن السادس الهجري، وهي بقايا القلعة الاتابكية، ترتفع عن مستوى الأرض المجاورة مايقرب من ٢٣م .

٣١- جابر خليل إبراهيم، "الأنشطة الآثارية"، المصدر السابق، ص٥٠٩.

٣٢- ينظر : - قحطان رشيد صالح، المصدر السابق، ص٥٠، ص٥٦، ص٥٨.

٣٣- للمزيد : - عادل نجم عبو، "تنقيبات جامعة الموصل في تل أبو ظاهر في حوض سد الموصل"، سومر، المجلد ٣٧، بغداد، ١٩٨١، ص٨١-١٠٠.

٣٤- للمزيد ينظر :- عادل نجم عبو،"تل حلاوة"، سومر، المجلد ٣٥، الجزء ١+٢، ١٩٧٩، ص٤٢٨-٤٣٠.

٣٥- تلول الشعيبة : تقع هذه التلول على بعد ٣٠ كم تقريباً إلى الغرب من مدينة البصرة الحالية .

٣٦- ينظر: - قحطان رشيد صالح، المصدر السابق، ص٢٧٦.

٣٧- مَرَّد : مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات المسمارية التي تعود بتاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، والمدينة تتشكل من موقعين منفصلين هما (ونه) و(الصدوم) يبعد أحداهما عن الآخر قرابة نصف كيلومتر والموقعين (ونه والصدوم) يبعدان ١٦كم تقريباً إلى الشمال من مدينة الديوانية و٧٠كم تقريباً جنوب شرقي موقع بابل الأثري.

٣٨- نائل حنون، حقيقة السومريين، دمشق، ٢٠٠٧، ص٣٤١-٣٥٦. وأيضاً :- نائل حنون، "مدينة مرد القديمة ونتائج التنقيب في ونه والصدوم"، سومر، المجلد ٤٩، ١٩٩٧-١٩٩٨، ص٦٣-٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com